لبنة على لبنة

لبنة
يوسف بن حسن الحمادي

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **أما بعد:**

فهذه رسالة أوجهها إلىٰ إخواني المعلمين وأخواتي المعلمات وهم في طريقهم إلىٰ مدارسهم، فأقول للجميع -وبالله التوفيق-:

كونوا مع نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعليمكم وأداء رسالتكم، وذلك بلزوم طريقته في تعليمه وهديه، فهذا أرضىٰ لربكم وأنفع لطلابكم.

وهذه همسة في أذن من يسر الله له مهنة التدريس وأكرمه بها، أقول فيها:

■ إنه ليس من طريقةِ تدريسٍ يُنادىٰ بها إلا وقد سلكها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودلّ عليها.

■ قد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتني بالتعليم في كل وقت ملائم، وفي كل مكان مناسب، وكان يعتني بفئات الناس كلهم علىٰ اختلاف طبقاتهم.

■ وكان ينتهز الفرص والمناسبات للتعليم.

■ ومن جاء من الناس طالبًا العلم رحّب به وبشّره.

■ وكان يُقبِل علىٰ المخاطَبين ويدنيهم منه.

■ وكان يخاطِبُ المتعلم مرةً باسمِهِ ومرةً بكُنيتِهِ ومرةً بلَقَبِهِ.

■ وكان يكرّر النداء للمتعلم أحيانًا مرتين، وأحيانًا ثلاثًا، وأحيانًا أكثر؛ لتنبيهه علىٰ ما سيلقي عليه، ولتوجيه نظر الطالب إلىٰ ما سيَخاطِبه به.

■ كان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستعمل أسلوب اللمس لشيء من مواضع الجسد، فمرة يضع كفَّ المتعلم بين كَفَّيهِ، ومرة يأخذ بيديه، ومرة يأخذ بمَنْكِبه -وهكذا- وأحيانًا كان يضرب علىٰ يده أو صدره -مثلاً- لتنبيهه وإيناسه.

■ كان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واضحًا في أسلوبه، متأنّيًا في كلامه.

■ وكان يعيد الكلام مرتين وربَّما ثلاثًا أو أكثر لغرس ما يريد في نفس المتعلم -إذا دعت الحاجة إلىٰ ذلك-.

■ ولتقريب ما يريد من المسائل كان يستخدم الإشارات والرسوم والأشكال البيانية في تعليمه.

■ وكان يضرب الأمثال أثناء تدريسه.

■ وكان يستعمل أسلوب المقارنة بين الأشياء.

■ ولشدّ أذهان المتعلمين كان يُجْمل في الكلام ثم يفسِّر ما أجْمَلَه.

■ وكان يستعمل أسلوب الاستفهام.

■ وكان يطرح الأسئلة علىٰ المتعلمين.

■ وكان يتلقىٰ الأسئلة من المتعلمين، ويُثْني علىٰ السؤال الجيد، وربما أجاب السائل بأكثر مما سأل.

■ وكان يأذَنُ بالمراجعة له، وبالسؤال والمناقشة فيما أشكل.

■ وكان متواضعًا للمتعلمين رفيقًا بهم ليّنًا معهم.

■ ومن عنايته بالمتعلمين: أنه كان يتفقدهم، ويسأل عنهم، ويراعي أحوالهم، وينمّي المواهب فيهم، ويكرمهم، ويثني علىٰ أعمالهم، إلىٰ غير ذلك من طرق تدريسه ووسائل تعامله التي يدركها المتأمل بالوقوف علىٰ أحاديثه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الواردة في تعليمه ودعوته.

وختامًا أدعو كل معلم ومعلمة إلىٰ العودة إلىٰ أصول السنة النبوية، ومصنفات الحديث النبوي، ففيها ما تَقرُّ به العيون، وتنشرح به الصدور في باب التعليم والتدريس.

وبهذه المعالم التي سار عليها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تعليمه يظهر صدق قول الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السُّلَمِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ**»(١).

وبها كذلك تتجلىٰ شفقته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ المتعلمين، ورحمته بهم، وإحسانه إليهم، وتتأكد هذه المعالم في قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ**»(٢).

ومن صدق -من المعلمين والمعلمات- في تعليمه، وقصد الاقتداء بنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أعانه الله في تدريسه، وبارك في نصائحه، ونفع بتوجيهاته.

(١) رواه مسلم (٥٣٧).
(٢) رواه أبو داود (٦).